مشاهد يومية

أين الخضرة؟؟

عبدالرحمن بجاش

كم هي نسبة المساحة الخضراء في العاصمة صنعاء إلى المساحة التي بنيت منازل وسفلتت شوارع؟
أخشى القول أن مساحة اليابسة أكبر من الخضرة في هذه المدينة.
فإذا جمعنا عادم السيارات اضافة إلى رصاص البترول إلى غبار الكسارات فماذا سيكون الناتج؟..
وكيف هي النتيجة؟
متنفسات هذه المدينة تقضم صباح مساء ونحن أذن من طين وأخرى من عجين ..
ضواحي هذه المدينة يزحف الاسمنت يكتسح كل نقطة خضراء ونحن كالبلهاء كأن الأمر لايعنينا..
حدة التي كانت ذات يوم المتنفس الأجمل لصنعاء ترى الفلل وقد انتشرت كالفطر على جسدها ولا أحد يقول : كفى..
متنفس آخر قرية «سنع» هي الأخرى يتحارب المحاربون ويزحف الزاحفون نحو خضرتها وهدوئها وقريبا جدا ستصبح حيا متوحشا من أحياء العاصمة.
أرتل وهي بعيدة عن قلب العاصمة وصلت أيادي السماسرة إليها وقريبا جدا ستراها شوارع لايعرف يمينها عن شمالها شيئا وسيضيع أهلها وسط الزحمة..!!
فماذا نقول سوى الدعاء إلى أرحم الراحمين أن يمنحنا البصر والبصيرة لنرى بعقولنا العبث الذي نمارسه كل لحظة وكأننا ننهش في جسد العدو..
بقي سؤال لوزارة البيئة : هل يعنيكم مايحدث ؟ أنا لا أطالب بمعجزة، فقط بكلمة ابراء للذمة..
فهل نسمعها ؟

bagash321@maktoob.com

فضيحة أم جريمة!؟

عبدالحليم سيف

■ تطل علينا من جديد تلك الصور المؤلمة لضحايا تعذيب أمريكيين وبريطانيين لأسرى وسجناء عراقيين، عبر شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد والمجلات الملونة..، تثير في نفوس الأمريكان والبريطانيين والبشر احساسا بالعار بدلا من الشعور بالفزع!!

ومنذ لحظة بث تلك اللقطات في شبكة سي بي اس الأمريكية الأربعاء قبل الماضي ونشرتها في اليوم التالي الصحف الأمريكية والبريطانية، بدأت داخل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ،،، خارجهما، أصوات الكتاب والصحافيين والبرلمانيين ونشطاء حقوق الإنسان ومسؤولي المنظمات الدولية والإقليمية ترتفع ساخطة ومستنكرة وهي تدين بقوة الأعمال المشينة التي ارتكبتها مجموعة من الجنود الأمريكيين والبريطانيين بحق اسرى عراقيين في سجن ابو غريب والبصرة..

●●●

كما انتقلت الصحف والقنوات الفضائية من موقف المتابعة لردود الفعل، لكشف المزيد من خفايا "المذبحة التي جرت فصولها خلف القضبان" إلى موقف المراجعة والتحليل لانتهاكات حقوق الإنسان داخل المعتقلات وخارجها..، وهي أعمال تمارسها قوات الاحتلال ضد العراقيين منذ اليوم الأول لسقوط بغداد في التاسع من أبريل ٢٠٠٣م بحسب تقارير المنظمات الإنسانية، ومشاهدات ضحايا التعذيب في احاديث لهم بثتها القنوات الفضائية مثل "الجزيرة" و"العربية" و"أبو ظبي" وغيرها.

والصور التي تم توثيقها ونشرها على نطاق واسع، التي تعود إلى أكتوبر المنصرم، تمثل أكثر الحالات صراحة في انتهاكات آدمية السجناء وأسرى الحرب وهم يظهرون مكبلي الأيدي معصوبي العينين مجردين من ملابسهم الداخلية وفي أوضاع مشينة بفعل جنود الاحتلال.

●●●

والواضح اكثر أن ما كشفته شبكة سي بي اس الأمريكية بشكل مفاجئ، ولأسباب قد تكون انتخابية، تمت بمعرفة ودراية اركان ادارة بوش والبنتاجون واعتراف وزير الدفاع الأمريكي رامسفلد في مؤتمر صحفي عقده مساء الثلاثاء.

فها هو سيمور هيرشي الصحافي المحقق في مجلة "نيويوركر" الأمريكية ينقل عن تقرير سري للجيش الأمريكي وضعه الجنرال انتونيو تاغوبا في فبراير الماضي: "أن عسكريين ضربوا معتقلين عراقيين بالمكانس والكراسي والقوا عليهم مياهاً ،،،، باردة وسائلا فوسفورياً وهددوهم بالاغتصاب".

ونشرت صحيفة "ذي جارديان" البريطانية في الأول من مايو الحالي معلومات مستندة إلى يوميات بدء السرجنت الأمريكي ايفان فريدريك كتاباتها في يناير الماضي وكشف فيها انه كان يطلب من الجنود إخضاع المعتقلين لاقصى ما يمكن من الضغط لانتزاع معلومات منهم ومورس مقدار كبير من الضغط على أحد السجناء فتوفي، ووضعوها على حمالة وغرزوا في الذراع مصلا من باب التموية وحملوها"]الحياة ٢ مايو ٢٠٠٤م.[

***

ولعل اكثر المشاهد همجية في التاريخ تلك الصور التي نشرتها صحيفة "الدايلي ميرور" البريطانية السبت الماضي لأسير عراقي تعرض لتعذيب وضرب مبرح بعقب بنقية بعدما تلقى تهديداً بالإعدام وبال عليه جنود بريطانيين.

وهؤلاء الجنود كما يبدو تخلصوا من كل صفة تربطهم بالإنسانية وتحولوا إلى وحوش شرسة لا خلق لها ولا ضمير.. ومثل هؤلاء يجب ملاحقتهم ومحاسبتهم "كمجرمي حرب" بحسب قواعد القانون الدولي الإنساني لا أكثر.

●●●

وقبل أن يتسلل الاسترخاء إلى الضمير الأمريكي والبريطاني والإنساني وقبل أن ينحسر غضب الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، وحليفه رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، بعد مشاهدة تلك الصور المفزعة الناطقة بمدى جرم الجنود الأمريكيين والبريطانيين في فعلتهم المدانة فلابد أن تواصل المنظمات الإنسانية والصحافيون العمل الجاد لوضع حد للمخالفات الجسيمة لاتفاقيات جنيف ولمواثيق حقوق الإنسان.

●●●

وفي هذا الشأن نصت مجموعة المبادئ المتعلقة بحماية جميع الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن صراحة على مبدأ "المعاملة الإنسانية من هذه الفئة من الضحايا مع التأكيد على عدم إخضاع أي شخص يتعرض لأي شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.. ولا يجوز الاحتجاج بأي ظرف كان كمبرر للتعذيب أو غيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاانسانية أو المهينة وفقا للمبدأ السادس من إعلان حماية جميع الأشخاص من التعرض للتعذيب الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٧٥م.

●●●

أما اتفاقية جنيف الثالثة لسنة ١٩٤٩م بشأن معاملة أسرى الحرب وبعض أحكام البروتوكول الأول لعام ١٩٧٧م الإضافي إلى اتفاقيات جنيف فهي تشدد على حظر العنف والإهانة ضد الأسرى بل وتؤكد وجوب صيانة شخص الاسير وشرفه.

وفي حالة الأسرى العراقيين تحت الاحتلال فإن اتفاقيات جنيف والتي تحكم أوضاع أسرى الحرب.. حيث تسند مسؤولية الأسر إلى الدول الحاجزة، لا إلى أفراد أو تنظيمات.. وتشدد الاتفاقية على أن يتم حجز الأسرى بعيدا عن جبهات القتال وساحات المعارك وتأمين حمايتهم وتقديم الخدمات الضرورية لهم وتمكينهم من تبادل الرسالة مع ذويهم والسماح لمندوبي اللجنة الدولية للصليب الأحمر بزيارتهم وعدم ارغامهم على القيام باعمال عدائية ضد بلدهم أو حشدهم في صفوف قوات الدول الحاجزة.

وفي هذا السياق يزيد الدكتور عامر الزمالي مستشار شؤون المغرب العربي والشرق الأوسط في اللجنة الدولية للصليب الأحمر في مقالة تحليلية له عن اسرى الحرب منشورة في مجلة "دلانساني" عدد مايو – يونيو ٢٠٠٠ أن ايذاء الأسير باليد أو اللسان عمل يعد جريمة بموجب احكام القانون الدولي الانساني.. مشيرا إلى أن من اخطر الجرائم المرتكبة ضد اسرى الحرب القتل والتعذيب واتخاذهم رهائن وتحويلهم إلى سلاح سياسي للضغط على الخصم واحتجازهم لأشهر ولسنوات طويلة بعد انتهاء المعارك وعزلهم عن العالم الخارجي.

ومثل هذه الممارسات لا يمكن أن يوجد لها مبرر على الاطلاق لا أخلاقيا ولا قانونيا ولا عسكريا أو سياسيا فكيف يمكن لدولة – الولايات المتحدة صادقت على اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩م في ١٩٥٥/٨/٢م وكذا المملكة المتحدة في ١٩٥٧/٩/٢٣م ارتبطت باتفاقيات جنيف الثالثة أن تسمح لجنودها من انتهاك كرامة إنسان اعزل مقيد الحركة؟!

●●●

وفي ضوء ذلك يتضح أن الانتهاكات المتعددة، لاتفاقيات جنيف والقانون الدولي الإنساني لا ترتكب بسبب قصور القواعد الإنسانية أو لعدم فاعلية إليه معاقبة مرتكبي تلك الانتهاكات وإنما ناتجة بالاتفاقيات الدولية وعدم احترام القواعد الإنسانية المشحونة بالألم والأحزان، كان يمكن تجنبها لو توفر الحد الأدنى من احترام قانون الحرب وأعرافها.

●●●

والخلاصة أن تعذيب الأسرى أو السجناء العراقيين تعتبر جريمة وفضيحة وفي الأولى لابد من معاقبة المتورطين بتلك الأعمال المشينة بحق أسرى.. وفي الثانية أن تعد حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا النظر في سياسة الكيل بمكيالين وان تنحاز إلى القيمة الإنسانية لان صورتهما المهتزة أصلا باتت محاصرة بالعار والخطيئة وقبل أن ينكشف ما هو أعظم.. فعلى الاحتلال أن يترك العراق وشأنه.. ويقدم للشعب العراقي والأمة العربية، والمجتمع الدولي اعتذارا لغزو بدأ في غير صالح دعاة الحرب والهيمنة.

حلف الناتو وأمن المنطقة

عبد العزيز بن عثمان بن صقر*

إن الفشل في تطوير هيكلية أمنية تستند الى قاعدة عريضة من المشاركين يعود الى عدم قدرة دول المنطقة على التقدم برؤية محددة والدخول في حوار بناء مع بعضهم بعضاً وكذلك لفشل الدول الاوروبية في ترويج ما تستطيع القيام به في ضوء ما تتمتع به من خبرة واليات عمل اكتسبتها عبر سنوات طويلة بعيدة عن اللجوء الى القوة العسكرية والتي من شانها ان تدفع باتجاه التعاون الأمني ،وآخيراً وليس آخراً إصرار الولايات المتحدة على الاعتماد بشكل أساسي على قدرتها العسكرية لفرض الحل الأمني في المنطقة ،لا بد من العمل على تغيير هذه الاوضاع والخروج من هذه الدائرة.

هناك حاجة ماسة لإيجاد اساليب وآليات عمل جديدة لنتجنب ارتكاب نفس الاخطاء السابقة.

ولحلف الناتو دور مهم لابد ان يضطلع به علماً ان هذا الدور سيكون دوراً مكملاً اكثر منه مركزياً في الخليج.

إلا أن وجوداً لحلف الناتو في المنطقة يجب ان يفهم أولاً وقبل كل شيء على أنه دور أوروبي أوسع مما كان عليه في السابق فيما يتعلق بأمن الخليج. ان أي توسع لأنشطة حلف الناتو في المنطقة الآن وفي ظل الظروف السائدة قد يبدو وكأنه توسع للهيمنة الامريكية تحت مظلة متعددة الاطراف ولكنها لاتزال في حقيقة الامر مظلة غربية. وتأسيساً على ما تقدم فإنه مالم يوجد على ارض الواقع دور اوروبي واضح وفاعل في اطار المبادرة الامنية فإنه لن يكون من الممكن تحقيق تقدم ملموس على هذا الصعيد.

لقد أدى إسقاط نظام حكم صدام حسين الى رؤية وهيكلية امنية جديدة بل يمكن القول ان الوضع الأمني اصبح اكثر تعقيداً نتيجة لفشل الولايات المتحدة في التنبؤ وبشكل موضوعي وصحيح بالمشكلات والعقبات التي ستواجهها في عملية اعادة البناء في مرحلة ما بعد انتهاء العمليات العسكرية.

نتيجة لذلك فإنه لن يكون هناك مجال لإجراء المزيد من الحوار والمداولات قبل ان تستقر الاوضاع في العراق ويبدأ التحرك باتجاه مستوى أعلى من الاستقرار. على حلف الناتو ان يساهم في هذه العملية، بل ومن واجبه الاضطلاع بدور قيادي ورائد في الوقت الذي يؤدي فيه الوجود الامريكي المنفرد إلى تأجيج مشاعر الحقد ويساهم في عدم الاستقرار، فبينما تبقى القوة العسكرية الأمريكية تحتل المرتبة الأولى، فإن دوراً بارزاً لحلف الناتو سيفسح المجال للقوات الامريكية للعمل بعيداً عن الواجهة الامر الذي سيؤدي الى التخفيف من حدة المواجهات المباشرة وعودة الهدوء وتراجع مشاعر الحقد والكراهية. كما ان وجوداً للناتو في العراق يحقق نجاحاً على صعيد تحسين الاوضاع العراقية يمكن ان يؤدي الى قبول هذا التواجد على نطاق واسع من منطقة الخليج.

وكجزء من اضطلاع حلف الناتو بمسؤولياته في المجالات العسكرية والامنية في العراق فإنه لا بد من أن تتولى الأمم المتحدة مسؤولية إعادة الإعمار والتاهيل في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وحتى يتمكن العراق من الخروج من دائرة العنف فإنه لا بد من تحول الجهود الامريكية المنفردة الى مشروع يفسح فيه المجال لمشاركة المجتمع الدولي. وعلى الولايات المتحدة الامريكية ان تدرك ان نقل المسؤلية هذا هو أمر ضروري وحيوي ويصب كذلك في مصلحة الولايات المتحدة.

أما فيما يتعلق بأمن منطقة الخليج فإن مجلس التعاون بحاجة الى أن تدرك ان العلاقة العسكرية مع الولايات المتحدة لا توفر الأمن المطلق كما أن حلف الناتو لا يستطيع ان يقدم الحل السريع، والمثالي للمشكلات الامنية التي تعاني منهاالمنطقة. ان هناك العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يجب ان تأخذ ما تستحقه من اهتمام.

لا بد من التاكيد على ان اقامة نظام أمني فاعل وقابل للاستمرار في منطقة الخليج لا يمكن ان يتوفر في نهاية المطاف إلا إذا أشرفت على وضعه وشاركت في تفعيله دول المنطقة بما فيها العراق وايران .

وقد تكون مساعدة القوات الخارجية في بداية الامر ضرورية لتسهيل اطلاق العملية لتقوم الاطراف الخارجية بعد ذلك بلعب دور ثانوي.

اضف الى ذلك ان نظاماً أمنياً أستنادا الى هذه الرؤية لا بد وان يقوم على ثلاثة مفاهيم اساسية وهي: الاجماع والشمولية وامكانية التنفيذ. فالإجماع ضروري من أجل تطوير رؤى مشتركة حول مشكلات المنطقة والحلول الممكنة لها. أما الشمولية في الرؤية فهي ضرورية لضمان الاخذ بعين الاعتبار مصالح جميع دول المنطقة. أما امكانية التنفيذ فلا يمكن الاستغناء عنها إذا كنا نرغب بالتوصل الى اتفاقية يمكن تطبيقها على أرض الواقع وقادرة على تحقيق النتائج المرجوة منها ولكن ماالدور الذي يمكن ان يلعبه ويجب أن يلعبه حلف الناتو في منطقة الخليج؟. ليست هناك حاجة لمعاهدة دفاع رسمية يتبناها حلف الناتو كنهج للتعامل مع القضايا الأمنية في منطقة الخليج وذلك لأنه لا توجد حتى الآن الأسس اللازمة لمثل هذه الخطوة. فالولايات المتحدة ليست في حاجة الى هيكلة أمنية اقليمية واسعة لتأمين وجود قواعدها العسكرية دون عقبات كما ان دول مجلس التعاون الخليجي من جانبها ليست في حاجة الى الدخول في ترتيبات رسمية تحدد مصالحها بشكل مسبق.

* تتركز تجربة الناتو بشكل اساسي في بناء حلف متعدد الاقطاب يتقاسم اعضاؤه الاعباء والمهام، كما أن جزءاً كبيراً من تجربته يتركز ايضاً في تشجيع عملية التحول الى تحالف ذي فاعلية اكبر.

ومن اجل الاستفادة من هذه التجارب لا بد وان يتم الاهتمام بتوسيع برنامج الشراكة من اجل السلام الذي يتبناه الحلف ليشمل دول الخليج.

من الممكن ان تكون هناك اهمية كبيرة للناتو في مسالة تبني مشاركة امنية اوروبية اكثر فاعلية في القضايا الخليجية ولن يؤدي الاعتماد المطلق على الحماية العسكرية الامريكية وعلى الرغم من فاعليتها في بعض دول الخليج من الاعتداءات الخارجية، الى إنجاح مساعي التوصل الى ترتيبات امنية اكثر استقراراً وفاعلية. ونظراً لعدم رغبة الدول الاوروبية في لعب دور عسكري مباشر في منطقة الخليج فإن القيام بهذا الدور تحت مظلة الناتو يمكن ان يجد قدراً افضل من القبول.

من المهم وضع قائمة بالاولويات الخاصة بأطرالتعاون. وهذه الاولويات يجب ألا تشكل عائقاً أمام مسالة إحداث تداخل وتفاعل اكبر بين مختلف الاطراف الاقليمية خارج إطار حلف الناتو..ولكن ما الانشطة التي يجب التركيز عليها؟ وما نوع التعاون المطلوب والمفيد؟

* التدريب المتخصص في مجال التخطيط المدني للتعامل مع حالات الطوارئ والكوارث ياتي في مقدمة الانشطة التي يجب التركيز عليها. كما يجب التركيز ايضاً على التدريب في مجال اعداد الكوادر اللازمة للاطلاع بمهام الإنقاذ وحفظ السلام وأمن الحدود ومحاربة عمليات التهريب.

* تنسيق الانشطة الاستخباراتية والعمليات الامنية المشتركة.

* تدريب القوات العسكرية التابعة لدول مجلس التعاون الخليجي على العمليات غير الهجومية وعلى وجه الخصوص تدريبها على التعاون مع المجالات المذكورة انفاً.

تبادل المعلومات في مجال التحليل الامني للتطورات الاقليمية. اضافة الى إقامة علاقات مؤسساتية افضل بين مختلف الاجهزة الأمنية في الجانبين دون ضرورة ان يكون إطار تحالف رسمي.

*رئيس مركز الخليج للابحاث – دبي

أفكار!!

حسين جمال البكري

● بعد أن إنتفض وجهها الشاحب المشحونُ بالألم قالت تحدث نفسها: لم جئْن الحياة!! لم عيون الناسِ تهرب من وجهي.
من النظر إليَ بثم لم أعاقب بالجحيم على شيء لم تفعلْه يدي، مافائدة أن أزرع قلبي زهوراً وأملأ بينما أنا في الواقع مجرد إنسانة دميمة وقبيحة الوجه .. ولا أحد من الرجال يتمناني زوجة له.
لماذا أنا بالذات صورتي محل سخرية! (سخرية) أجدها في عيون الناس أينما ذهبت .. من سبب حفريات القبح في سطح ملامحي الكئيبة. مرت الأيام وذات صباح جلست منزوية على نفسها في أحد المستشفيات الحكومية وسمعت صوته، رجل يجلس قريباً منها.. وبعد التعارف قدمت إليه المساعدة مما أثر في نفسه ومن اللقاء الأول عرض عليها أن يتزوجها فوافقت على الفور. توافق حتى لو اكتشفت بعد وقت قصير أنه كان ضريراً آي رجل أعمى!! وهكذا ابتسمت السعادة لها أخيراً .. وعلى طريقتها الخاصة!
■ أجمل ماقيل في المرأة:
● ابتلع الشيطان المرأة فلم يستطع هضمها!!
● إذا كان الشيطان استاذاً لرجل واحد فهو تلميذ صغير عند أغبى امرأة.
● إذا حطمت المرأة (أدبياً) بَنَتْ على أنقاضه مجداً.
● الرجال يطاردون، والنساء يصطادون. (فيكتور هوجو)
● اللي يسمع كلام إمرأته كثرت نكباته!
● وراء كل رجل عظيم إمـرأة! (وأنا أقـول) وراء كل رجل عظيم امرأة (تعذّبه)!!
● الرجل أرجوحة بين ابتسامة ودمعة المرأة!!

الموظف «الغلبان»

ابراهيم المعلمي

● صحيح أن الظروف المعيشية أصبحت صعبة ، وأن راتب الحكومة لا يكفي لجعالة الجهال .. إلا أن هذا لا يبرر ولا يعطي الحق لبعض الموظفين أو لمعظمهم ممارسة بعض السلوكيات التي لا تليق مع المواطنين من أصحاب المصالح أو المعاملات أو المستفيدين من الخدمات العامة .

● وكنا نعرف فيما مضى أن ثمة «حافز» كان يدفع للموظف المعني من تحت الطاولة أو يتم توصيله عبر وسطاء إلى البيت إن كان هذا الحافز كبيراً والقضية تستحق برأي صاحبها لأن يجازف بهذا العمل غير الجائز شرعاً وغير المقبول قانوناً وأخلاقاً..

● وهذا الحافز «الاسم المخفف للرشوه» لم يكن سوى نوع من التودد أو التقرب إلى الموظف العام لغرض الإسراع في إنجاز المعاملة أو إتمام المصلحة سواء كانت شخصية أو عامة .. وبهدف إزالة أي عوائق ودرء أي عوارض قد تعرقل سير المعاملة .

● لكن ما يجري اليوم في هذا النطاق لا يمكن وصفه بأقل من ابتزار ونهب مصحوب بوسائل قهر وضغط مادي ونفسي يمارسه بعض الموظفين في المصالح والمؤسسات الحكومية وبصورة سافرة وفظة وعلنية ، ولا يقتصر الأمر على الموظف المعني الذي يمسك صاحب المصلحة أو المعاملة بخناقة لكنه يشمل كل الموظفين بالإدارة المعنية وبما فيهم المدير المسئول عنها والمراسل والفراش وكل من يتنفس هواء ذلك الحيز .

● العملية لم تعد تمارس كما كانت على استحياء وفي حدود الممكن الذي يحدده الراشي التعيس ، بل أصبحت «حقاً» مشروعاً وشرطاً ضرورياً وجباية لازمة ينبغي على كل من له صلة أو علاقة أو مصلحة هنا أو هناك أن يدرجها ضمن واجباته نحو موظفي الدولة وممثليها في المواقع الوظيفية المختلفة .

● وهذا ما يفسرلنا سر هذا التهافت والصراع والزحام وشراء الذمم ودفع الغالي والرخيص مقابل الحصول على درجة وظيفية في الجهاز الإداري للدولة.. لأن هذه الوظيفة صارت وسيلة للكسب والتكسب غير المشروع وموقعاً مناسباً للثراء .. أما المرتب فلا أحد من هؤلاء يسأل عليه.

almalemi @ hotmail. com

هل نقول وداعا للمنظمة الدولية؟

عبد الله بن علي العليان

■ جاء شن الحرب الأمريكية– البريطانية على العراق خارج الشرعية الدولية لتقلب مستقرات النظام الدولي رأسا على عقب، وتعيد حسابات كثيرة ترى أن هذه الخطوة سوف تعجل بانهيار هذا النظام القائم، أو على الأقل عودة التعددية القطبية بنظام دولي جديد وحرب باردة مقبلة تكون أكثر شراسة في وجه الولايات المتحدة وشركاتها في هذه الحرب غير الشرعية وغير المبررة.

لو رجعنا إلى النظام الدولي القائم الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية لوجدنا أنه بعد قيامه أنقسم العالم إلى معسكرين متنافسين أبرز سمات هذه المرحلة الصراع على المصالح والمواقع الاستراتيجية وكان السباق على التسلح والتفوق العسكري على اشده بين المعسكرين بالوسائل التكتيكية حينا وبالوسائل الخبيثة حينا آخر!! ولعل إثارة أو تشجيع الحروب الجانبية هي سياسة دائمة وثابتة في هذا الصراع بهدف إيجاد وسائل للاختراق السياسي الذي يهدف بطبيعة الحال إلى إضعاف قدرة أحد الأقطار للآخر دون الوصول إلى مرحلة الصدام الخطير والقبول بسقوف محددة للصراع الذي كان الاتحاد السوفييتي هو الوحيد الخاسر في هذه المرحلة بالنهاية المعروفة ! بعد المتغيرات في المعسكر الشرقي وتوحيد ألمانيا وانهيار الاتحاد السوفييتي كادت لتؤكد أن" الحرب الباردة" بين القطبين انتهت فعلا وأن " كتلة عدم الانحياز" هي الأخرى انحلت عمليا ليبدأ العالم بالتشكل ضمن مرحلة جديدة ذات سمات مختلفة نوعياً عن المرحلة السابقة من دون سمات هذه المرحلة ونظامها والأسس والقواعد التي تحكمها عدا التصريح الشهير الذي أدلى به الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب أثناء حرب الخليج الثانية ،بأن سلطة القانون " لا سلطة الغاب هي التي تحكم هذه الدول في المستقبل"!!

هذه الإشارات من رئيس اكبر في العالم جعلت العالم ينظر نظرة متفائلة قوة التصريح الذي بشر بنظام عالمي جديد تسوده روح العدل والحق وتحميه قوة القانون الدولية بحيث يصبح أكثر عدلا لحقوق الشعوب في الحرية والديمقراطية والاستقلال .. لكن هذه الآمال سرعان ما تبددت فالصورة مخيفة ، والصراعات تفاقمت بصورة لم يسبق لها مثيل حتى أن البعض أعرب عن تشاؤمه من عبارة النظام الدولي الجديد واستبدلها" بالظلم العالمي الجديد" إشارة إلى ما يحدث للمسلمين من دون بقية الشعوب من اضطهاد وقتل وتنكيل في ظل هذا الشعار النحس؟

كان التوقع أن الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة الدور الأكبر في طرح هذا الشعار واستغلاله ! أن تقف بجزم لتثبيت هذا النظام وإيجاد الأسس والقواعد العادلة ليكون متسقاً مع الدور الجديد الذي هو في الأساس " أحادي القطبية"!

لكن الأمر اتجه إلى ما هو أبعد وأخطر في تقويض هذا الشعار وتحجيمه بالصورة المتوقعة له بعد ظهور الدلائل القاطعة أنه مجرد تلبيس لأوهم خادعة يكون المستفيد فيها "إسرائيل " في المقام الأول.!

وبدلا من تركيز النظام الدولي على تحقيق العدل وإشاعة التعايش السلمي وتحقيق الديمقراطية وحقوق الإنسان ، فانه أفرز ما يسمى اصطلاحا بالحرب الباردة " لك ف" الذي شاع استخدامه في العلاقات الدولية في عالم ما بعد الحرب الباردة ،وهذه الحرب عملت على تأسيس نظرية الصراع الدولي ،وأنماط القوة في المجتمع الدولي وتوازن الرعب النووي،وسياسة الأحتواء وغيرها من حقائق القوة والصراع في الاستراتيجية الدولية المعاصرة. ولعل أخطر إفرازات الحرب الباردة نظرية " الصراع الدولي" ذلك أن الصراع في تصميمه هو تنازع ارادات بحكم الاختلاف في التوجهات والسياسات .وهذه النظرية التي قسمت العالم إلى معسكرين متصارعين وعملت على استنزاف الاقتصاد للدول الصغيرة وجعلتها أسيرة هذا الصراع لاختبار مدى قوة التوازن الدولي، واختبارالأسلحة التي يتم تصنيعها! وعندما وصل هنري كيسنجر إلى البيت الأبيض لأول مرة كمستشار للرئيس ريتشارد نيكسون لشؤون الأمن القومي وكان تصوره لطبيعة الصراع البارد وبين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفييتي آنذاك قد نضج وأخذ يرى أن مستقبل التوازن بين العملاقين على هذا المنوال سيكون ضارا بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة ،فعمل على أن تستمر الحرب الباردة،لكن مع تفوق ظاهر للولايات المتحدة،وهيمنة على بقاع مهمة من العالم .أي أن تكون للولايات المتحدة محاور سياسية لصالحها تستطيع أن تحركها في الوقت المناسب لإقلاق الاتحاد السوفييتي..وكانت الخطوة الأولى لسياسة كيسنجر هي أولا: إخراج الولايات المتحدة من تورطها في فيتنام مع المحافظة على كفة التوازن لصالحها في العالم الآسيوي عبر ايجاد وضع غير مستقر في فيتنام .

أما الخطوة الثانية: فهي الاتحاد السوفييتي عالميا عن طريق قطع السبيل أمامه للتحالف مع قوة كبرى تنتمي إلى المعسكر الأيديولوجي نفسه .. هنا بدأت الولايات المتحدة بتطبيق فكرة كيسنجر الجذرية وهي " اللعب على وتر الصراع الصيني – السوفيتي " .

ومع انفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم كقوة كبرى بلا منافس أوجد وضعا شديد التعقيد .إذ على إثر انتهاء الاتحاد السوفييتي بتفكك دوله ، قيام الحرب الأهلية في البلقان وفي غيرها انكشفت عيوب النظام الدولي ومعاييره ومقاييسه المتناقضة.

فلو عدنا للوراء قليلاً لوجدنا أن كل الأنظمة الدولية التي أقيمت كانت لأسباب الحروب والمغامرات الدولية ،وكذلك كل الصيغ التي أوردتها ديباجة هذه القوانين هي شروط "فرض" وليس اختياراً مقنعاً ،وهذا ما يفسر انهيار الكثير من الأنظمة ففي عام ١٨١٥م فرضت الدول الأوروبية المنتصرة نظامها العالمي الذي تمثل بحفظ (المستاشكو) الأوروبي بعد مغامرات نابليون السياسية التي عصفت بأوروبا آنذاك.

واستند ذلك النظام بصورة أساسية إلى (سياسة المؤتمر) بحيث احتفظت الدول الأوربية الخمس بضبط أوروبا ومستعمراتها(بريطانيا، فرنسا، روسيا،بروسيا، النمسا) كما استطاعت أن تضبط الإمبراطورية العثمانية أيضا .

واستمرت (سياسة المؤتمر) حتى تفاقم الخلاف بين فرنسا وبريطانيا وألمانيا حيث تحول النظام الدولي الجديد إلى سياسة (توازن القوى) وكانت بريطانيا تمثل الجهة الأقوى لحفظ هذا التوازن حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ونتيجة لهذه الحرب، كانت) اتفاقية فرساي) و(عصبة الأمم) وبوادر نظام عالمي جديد أفرزته الحرب العالمية الأولى فرضته الدول المنتصرة فيها ،وقد تميز ذلك النظام بتكريس السيادة الأوروبية بتسخير (عصبة الأمم) نفسها لرعاية هذه السيادة وتنظيمها .

وعلى الرغم من (اتفاقية كيلوج برياند) التي وقعها آنذاك كان المجتمع الدولي(٦٤ دولة) والتي حظرت الحرب بكل أشكالها فإن ذلك لم يمنع نشوب الحرب العالمية الثانية.

ولعل ما يسبب قلق الكثيرين من أعضاء الأسرة الدولية تجاه التوجه الدولي هو (ازدواجية المواقف) تجاه قضايا ومشكلات العالم بعد انتهاء القطبية الثنائية ،وهذا ما يرسخ مفهوم التشكيك في تشكله (النظام الدولي الجديد) ناهيك عن وجوده أصلاً.

وهذه أحد التحديات الجديدة ،ذلك أن النظرة الأحادية الجانب للأمن والسلام العالميين ،نظرة قاصرة لم تستفد من انهيار النظام الدولي الذي أقيم في أعقاب الحروب الأوروبية وبعدهما في الحربين الكونيتين.

وفي قضية المسألة العراقية ،فإن الولايات المتحدة تريد أن تفرض نموذجاً أحاديا في تطبيق القانون الدولي وفق تفسيرها ومفهومها ومصالحها ، بغض النظر عن المعارضة الدولية الأخرى، لا سيما الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن .

وبعد شن الحرب على العراق من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا خارج الشرعية ،هل يعني أن المنظمة الدولية انتهت عمليا بعد هذا الانتهاك للقانون الدولي؟ أم أن هذا الانفراد بالحرب خارج الشرعية الدولية، يمثل هيمنة وانفراد الولايات المتحدة بالقانون الدولي تفسيراً وتعاطياً مع قضاياه المتعرجة ؟

الأشهر القادمة سوف تحسم هذه المشكلة القائمة داخل المنظمة الدولية بصورة حاسمة وقاطعة.

● كاتب عربي